مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كورنثوس ٦: ١٦–١٨؛ ٧: ١)

يا إخوةُ أنتم هيكلُ اللهِ الحيِّ كما قال اللهُ إنّي سأسكُن فيهم وأسيرُ فيما بينهم وأكونُ لهم إلهاً وهم يكونونَ لي شعباً* فلذلك اخرُجوا من بينِهم واعتزِلوا يقولُ الربُّ ولا تَمَسُّوا نَجِساً* فأقبَلُكم وأكونُ لكم أباً وتكونونَ أنتم لي بنينَ وبناتٍ يقولُ الربُّ القدير* وإذ لنا هذه المواعِدُ أيُّها الأحبَّاءُ فلنُطهِّرْ أنفُسنا من كلِّ أدناسِ الجسدِ والروح ونكمِّلِ القداسةَ بمخافةِ الله.

الإنجيل

(لوقا ٦: ٣١–٣٦)

قال الربُّ كما تريدونَ أن يفعلَ الناسُ بكم كذلك افعلوا أنتم بهم* فإنَّكم إنْ أحببتم الذين يُحبّونَكم

بين الأخلاق والإنجيل

في إنجيل القديس لوقا، يقع النص الشريف المتلو علينا في الكنيسة هذا اليوم مباشرة بعد التطويبات، التي سمّاها آباؤنا القديسون «ناموس العهد الجديد». ولموقع هذا النص في السياق الإنجيلي دلالة. فالرب يسوع ينتقل هنا من لغة التطويبات إلى لغة التطبيق العملي لتعاليمه الإلهية، بشكل مباشر مبسّط لا يحتمل لُبساً ولا تأويلاً أو سوء تفسير. ومحور الكلام المحبة، كما يراها الله لا كما تحدُّها المفاهيم الاجتماعية أو الأطر الأخلاقية المتباينة بين هذا المجتمع وذاك وبين هذه الثقافة وتلك. هذه المحبة هي، بحسب كلام الرب، القاعدة الأساس لتعامل الإنسان مع الإنسان.

لم يقل الرب «لا تفعلوا بالآخرين ما لا تريدون أن يفعله الآخرون بكم»، بل «كما تريدون أن يفعل الناس بكم كذلك إفعلوا أنتم بهم». قوانين الدنيا تكتفي بالنهي عن فعل الشر، وغالباً ما تخفق حتى في هذا. أما شريعة الله فغايتها الإرتقاء بالإنسان إلى الطبيعة التي خُلق عليها أصلاً. الأخلاقيات المجتمعية أو الثقافية ترتّب لك مكاناً ضمن إطارها المحدود، أما المحبة بمفهومها الإلهي فترتقي بك إلى استرداد مكانتك كفاعل في الكون لا كمجرّد عابر فيه. أن تشتهي لغيرك ما تشتهية لنفسك، وأن تعمل من أجل تحقيقه، يعني أن ترى الآخر، أياً كان وعلى أية حالة كان، مساوياً لك تماماً، وأنك وإياه أمام الله متساويان. متى رأيت نفسك في المحتاج تعي كم أنت محتاج لرحمة الله وعطاياه، ومتى رأيت نفسك في المريض أو الضعيف تعي كم أنت أمام الله ضعيف.

العدد ٢٠١٢/٤٠

الأحد ٣٠ أيلول

تذكار الشهيد في الكهنة

غريغوريوس أسقف أرمينيا

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر السادس

عن وصية الرب بأن نفعل بالناس ما نريد أن يفعل الناس بنا يقول أبونا القديس يوحنا الذهبي الفم «بهذه الوصية الإلهية اختصر لنا الرب الفضائل كلها، بل وأظهر لنا كم ان طريق الفضيلة سهل، وكم هي من أصل طبيعتنا البشرية كما خلقها الله». عدلٌ أن تشتهي للآخر ما تشتهيه لنفسك، وكلما ازداد وعيك لهذه القاعدة تناقصت أنانيتك وصرت بالتالي أقرب إلى المحبة كما يراها الله. المعادلة بسيطة: كلما تمرّست في التزام هذه الوصية، قناعة

فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يحبُّون الذين يحبُّونهم* وإذا أحْسنتم إلى الذين يُحسِنون إليكم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً هكذا يصنعون* وإن أقرضْتُم الذين تَرْجونَ أن تستَوْفوا منهم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يُقرِضونَ الخطأة لكي يستوفوا منهم المِثْلَ* ولكن أحِبُّوا أعداءَكم وأحْسِنوا وأقرِضوا غيرَ مؤمِّلين شيئاً فيكونَ أجرُكم كثيراً وتكونوا بني العليّ. فإنَّه مُنعِمٌ على غيرِ الشاكرينَ والأشرارِ* فكونوا رُحماءَ كما أنَّ أباكم هو رحيمٌ.

تأمل

كم كان سيكون عالمنا مختلفاً لو كانت المحبة سائدة في كلّ مكان! لما كانت هناك ضرورة لقوانين ولا لمحاكم ولا لعقوبات، لا أحد كان سيظلم القريب، وكانت ستختفي النزاعات والقتالات والحروب والفوضى والاختطافات وفعلاً، كلما ابتعدت عن الكبرياء والأنانية والحقد والإدانة وسوء اللسان وغيرها من آفات أهوائنا، فأنت لا تتمنى أياً منها لذاتك. أكثر من ذلك، يسهل عليك تدريجياً أن تقابل السوء بالخير، والخير بأفضل منه، وأن تعطي من ذاتك للمحتاج دون أن يطالك بسبب العطاء كبرياء إذ إنك بتّ ترى في الآخر ذاتك.

في مطلع هذا التعليم المبارك، يرسم لنا الرب يسوع الطريق إلى الكمال بالخطوات الأبسط: بأن نتعلّم تنقية القلب من الزيف فلا نعود نُظهر للآخرين شيئاً بينما نضمر لهم عكسه، فقط لأننا نرى في الآخر ذاتنا، نشتهي ونفعل له ما نشتهي ونفعل لذاتنا. ثم ينتقل بنا، له المجد، إلى مستوى أوضح تفسيراً وأقرب إلى المحبّة كما يراها الله: «إن أحببتم الذين يحبّونكم فأي منّة لكم...». هذا ما ينقلنا من الـ«أخلاقيات» بمفهومها الإجتماعي الذي تحدّه ثقافة المجموعات وشرائعها الظرفية، إلى شريعة الإنجيل العابرة للثقافات والأزمنة والتي خطّها ابن الله الوحيد بتجسّده وتعليمه، وافتدائه إيانا حباً على الصليب. المسيح لم يأتِ مصلحاً اجتماعياً لجماعة ما في زمان ومكان ما، بل مخلّصاً إلهياً للخليقة بأسرها، وهنا يكمن الفرق بين الإنجيل وبين كل الفلسفات والتعاليم الإنسانيّة مهما سَمَت. لذا، فانتماؤنا إلى المسيح يحتّم علينا التزامه وحده، كيانياً، والترفّع عن أي انتماء آخر لنكون أبناء الله العلي. هذه هي الغاية التي من أجلها خُلقنا.

ينتهي النص الإنجيلي (من الرسول لوقا) اليوم بعبارة «فكونوا رحماء كما ان أباكم هو رحيم». الإنجيلي متى يورد هذه العبارة على الشكل التالي: «فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (متى ٥: ٤٨). هذه الوصية تأتي بعد حديث الرب عن المحبة: «أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات...» (متى ٥: ٤٤ و٤٥). إذا الكمال بالمفهوم الإنجيلي أن يكون الإنسان رحيماً مع الآخرين، لأن كلاهما، أي الرحمة والكمال هما تعبير عن المحبة اللامتناهية. فالله كامل ورحيم لأنه محب، وقد أحبّنا حتى انه أرسل ابنه الوحيد فداءً عنا، ليُصلب ويموت من أجلنا. دعوتنا هي أن نكون رحماء، كاملين في محبّتنا ولو اقتضى الأمر أن نضع أنفسنا لأجل الآخرين.

الأعياد الكنسيّة

تهدف الكنيسة المقدسة من خلال وضعها تذكارات الأعياد في الروزنامة الطقسيّة إلى أن تحيا الأحداث الخلاصية التي أتمها ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. من هذه الأعياد ما يُسمّى بالأعياد السيدية والوالدية. والأعياد السيدية هي الأعياد المتعلقة بالرب يسوع مباشرة، أما الأعياد الوالدية فهي المتعلقة بوالدة الإله التي كان لها دور أساسي في جعل الخلاص ممكناً من خلال قبولها تجسّد ابن الله في أحشائها بالروح القدس. وهناك أيضاً أعياد القديسين التي فيها تتذكر الكنيسة أولئك القديسين والشهداء والأبرار والنساك «الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا براً،

والطمع والظلم كلّه، ولكان الشرّ مجهولاً بالكلية لأنّ المحبة لديها الميزة الوحيدة التي تميّزها عن الفضائل الأخرى وهي أنها لا تترافق مع بعض النقائص. على سبيل المثال عدم القنية يترافق غالباً مع الغرور، والفصاحة مع حبّ الظهور، وعمل العجائب مع الكبرياء، والرحمة مع الشهوة، والتواضع مع الكبرياء الداخلي وقس على ذلك. هذه لا توجد في المحبة الحقيقية إذ إنّ الإنسان الذي يحبّ، يعيش في الأرض كما كان سيعيش في السماء، بهدوءٍ وفرح لا اضطراب فيهما، وبنفسٍ طاهرةٍ من الحسد والغيرة والغضب والكبرياء والميل الشائن، وكما أنّ لا أحد يفعل سوءاً بنفسه، هكذا أيضاً لا يفعل سوءاً بقريبه الذي يعتبره كنفسه الأخرى. ها هو إنسان المحبة، إنه كملاك على الأرض! لكن ذاك الذي ليست لديه محبة، ولو عمل عجائب كثيرة، ولو كانت لديه معرفة تامة بالحقائق الإلهية، وإن أقام آلاف الموتى، فلن يربح شيئاً بما أنه يعيش فقط لنفسه وبعيداً عن الآخرين.

نالوا مواعيد، سدُّوا أفواه أسود... رُجِموا نُشروا جُرِّبوا ماتوا قتلاً بالسيف» (عب ١١: ٣٣–٣٧).

عرّف الآباء القديسون العبادة المسيحيّة على أنها مناجاة الإنسان المخلوق لخالقه، كما هي صرخة الإنسان الفَرِح، صرخة كل إنسانٍ من أعماق الكيان والقلب تجاه ربّه وسيّده مصدر حياته ونبع كل خيراته: «من الأعماق صرخت إليك يا رب، يا رب إسمع صوتي» (مز ١٣٠: ١–٢). وكانت الليتورجيا هي التعبير عن العلاقة بين الإنسان والله المتسامي وشركته معه. إذا تأملنا في الخِدَم الليتورجية ومعاني الأعياد، نغوص أكثر فأكثر في أعماق العبادة الإلهية الصائرة في كنيستنا، ونعي معانيها وسموّها. لذلك تسعى الكنيسة لشرح معاني الخِدَم والأعياد للمؤمن لتساعده على استيعاب مضمونها والوصول إلى الخلاص. من هنا كان تكرار للسنة الطقسيّة. ففي الكثير من الأحيان نجهل معاني الأعياد وانعكاساتها على حياتنا.

الأعياد عنصر جوهري من عناصر العبادة، حيث تسبّح الجماعة في بهجة وفرح الرب الذي صنع فداءً لشعبه، وتكرّم هذا أو ذاك الوجه من وجوه الحياة البشرية التي وصلت إلى القداسة، كما ترفع آيات الشكر لله وتلتمس حمايته. يصف أحد الكتّاب المعاصرين الأعياد بأنّها تذكير لأحداث ماضية والتحسّس لما هو في المستقبل بطريقة شعريّة وعقائديّة. فالعيد يكشف عن الذاكرة وعن نبوءات الكنيسة. تشرح الأعياد وتذكّر الإنسان بالأمور الأساسية لخلاصه. فهي تتكرّر في كلّ سنة بشكل دائري موجهةً نحو سرمدية الله الحتمية وقداسة الإنسان المدعو إلى تحقيقها. تُظهر لنا الأعياد وتعلّمنا لماذا وكيف نحقّق ذلك في حياتنا. كما أنّها أساسيّة بالنسبة إلى الإنسان المؤمن المسيحي، إذ من خلالها يلتمس معنى الملكوت الذي نُفي منه بسبب عصيانه. فالأعياد التي نحتفل بها تتناول مواضيع تؤثر على الإنسان وخلاصه، لذلك تستحق الاهتمام والتمعّن بها. إنها تصف بدقة ما قاله القديس أثناسيوس الكبير وغيره من آباء القرن الرابع: «صار الإله إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً». ففي عيد القديس بتابيوس، الذي نعيِّد له في الثامن من شهر كانون الأول نرتل: «إن الشعوب قد وجدوا هيكلك أيها القديس مستشفى روحياً، فهم يتقدّمون إليه برغبة مستمدين أن ينالوا شفاء الأسقام وغفران ذنوب الحياة، لأنك ظهرت منجداً لجميع الذين في الشدائد أيها البار بتابيوس».

هدف الأعياد السيديّة أن نحيا، هنا والآن في هذا الزمان، الخلاص الذي منحنا إياه الرب قديماً وما زال. ففي طروبارية عيد بشارة والدة الإله (٢٥ آذار) «اليوم رأس خلاصنا وظهور السر الذي منذ الدهور، لأن الله يصير ابن البتول وجبرائيل بالنعمة يبشّر، فلذلك ونحن معه لنهتف نحو والدة الإله: افرحي أيتها الممتلئة نعمةً الرب معك». من ناحية أخرى تأتي أعياد القديسين والشهداء ليكونوا أمامنا نموذجاً لمن جاهد ووصل فتكون حافزاً لنا للمتابعة في الجهاد. «فكل عيد، كل عمل يقوم به الرب يسوع المسيح هو خلاص وفخر لنا نحن المؤمنين» كما يقول القديس أفرام السرياني.

لذلك بالضبط، حدّد المسيح محبة القريب على أنها برهان المحبة الكاملة له. قال للرسول بطرس: «إن كنت تحبّني إرعَ خرافي» (يو ٢١: ١٦). وهذا يرمز إلى أنّ المحبة لديها قيمة أكبر من الشهادة.

إن كانت المحبة تسود في مجتمعنا، لما كانت هناك تمييزات ولما كان هناك عبيد وأحرار، أسياد وعبيد، فقراء وأغنياء، صغار وكبار، كذلك لكان إبليسُ وشياطينُه مجهولين وضعيفين بالكلية لأنّ المحبة هي أقوى من كلّ سور وأصلب من كلّ معدن أيضاً، لا يغلبها لا الفقر ولا الغِنى، أو بالحريّ فإنه حيث تسود المحبة لا يوجد تمييز بين الغني والفقير. فالغني يُعطي الفقير الوسائل الضرورية للعيش الكريم، والفقير يمنح الغني باباً للدخول إلى الملكوت وبالتالي راحة البال.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يعلّمنا الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس كيف يجب علينا أن نحتفل نحن المؤمنين بالأعياد فيقول: «إذاً لنعيِّد ليس بخميرةٍ عتيقةٍ ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق» (١ كور ٥: ٨). أما القديس أفرام فيعلّمنا أن نحتفل «ليس بروح عالميّ بل بما يفوق العالميات». ويتابع: «لنهربْ من الأغاني الصاخبة ولا نجمِّلنَّ وجوهنا، ولا نلطفنَّ سمعنا بآلات الموسيقى، ولا نلبسنَّ الألبسة الناعمة الفاخرة، ولا نستعملنَّ الحلى الذهبية. لا نضيِّعنَّ الليتورجيا الإلهية من أجل بطوننا التي لا تشبع مهتمين بتهيئة المآكل، بل لنكرِّمنَّ أعياد الرب بتقوى بطريقةٍ مسيحيّة أي بالمزامير والصلوات والتسابيح الروحيّة». لذلك تحثّنا الكنيسة دائماً على المشاركة ليس فقط في صلاة الغروب التي تقام في الليلة التي تسبق العيد بل أيضاً على المشاركة في الإفخارستيا، لأنه بالنسبة لقديسنا السرياني «العيد الحسن والمرضي لله يكون حيث يعيّد معنا المسيح أي حيث تتم الخِدَم الكنسيّة، حيث تُتلى وتكرَّم الكتب المقدّسة». وما هو عكس ذلك فهو مرفوض من قبل الرب كما جاء على لسان أنبيائه: «بغضتُ كرهت أعيادكم ولست ألتذُّ باعتكافاتكم... أبعد عني ضجَّة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع» (عا ٥: ٢١–٢٣). لأنّ الرب عندها «يُبطل كلَّ أفراحِها، أعيادِها ورؤوسِ شهورها وسبوتها وجميع مواسمها» (هو ٢: ١١).

إنَّ العيد المفضّل عند الله هو ذاك اليوم الذي يرجع فيه الخاطئ إلى ذاته بدموع التوبة كما يقول الإنجيلي لوقا «هكذا أقول لكم يكون فرح قدّام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب» (لو ١٥: ١٠)، «لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد» (لو ١٥: ٢٤). إذاً فلنأخذ من الأعياد الكنسيّة الفرصة التي تقدمها لنا الكنيسة لنتمثّل بالقديسين الذين جاهدوا الجهاد الحسن وعاشوا التوبة الحقيقيّة واستحقوا أكاليل المجد والملكوت الإلهي.

المتوحدة صوفي في رحاب الله

انتقلت إلى رحمته تعالى صباح الخميس ٢٠ أيلول ٢٠١٢ الأخت المتوحدة صوفي خليل نعيمه من راهبات دير القديسة كاترينا في زهرة الاحسان في الأشرفية، وقد ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الجناز يوم الجمعة ٢١ أيلول يحيط به كهنة الأبرشية وبعض رؤساء الأديار والراهبات في الأديار في لبنان.

عاشت الأخت صوفي ٨٣ عامًا قضت منها ٥٨ سنة راهبة في دير القديسة كاترينا، مجاهدة في تطبيق نذورها الرهبانية ومصلّية من أجل خلاص نفسها ونفوس جميع من عرفوها ومعلّمة للتعليم الديني في قسم الحضانة في مدرسة زهرة الاحسان. ألا جعل الله نفسها مع الأبرار والصدّيقين.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb